معالم الخطاب العلوي بين أدب الاحتجاج وأخلاقية الحاكم

الباحث
الشيخ منير صادق الكاظمي
مكتبة الجوادين العامة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على رسوله الهادي الأمين واله الغر الميامين، دوائر العلوم وأصحاب المعارف الذين شرفنا الله بولايتهم وعرفنا منزلتهم، وبعد :

من اليوم الأول الذي نزلت به آيات الكتاب العظيم كمعجزة واضحة ومصدقة لنبوة النبي الخاتم ﷺ ودليل على عظمة الإسلام، كان الشعار الأول الذي يعتبر كصفة غالبة عليه هو شعار التحدي، والقطع بسلامة النص القرآني وعصمته، ودوام حجيته مع تعاقب الأيام واختلاف الأزمان وهو ضرب من ضروب التفرد والخلود لهذا الكتاب الكريم دونا عن غيره من الكتب، وهذا ما تتحاشاه وتتهيبه كل الميادين العلمية والمعرفية الأخرى، فقوله تعالى: أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مفتريات...) هود: الاية١٣، متحديا بذلك على قوم طالما شهد لهم التاريخ بأنهم أهل صناعة وإذاعة في الكلام وإسراره، فتحداهم بما هو شأنهم الظاهر عليهم قال السيد الطباطبائي[١]: فالتاريخ لا يرتاب من إن العرب العرباء بلغت من البلاغة في الكلام مبلغا لم يذكره التاريخ لواحدة من الأمم المتقدمة عليهم، والمتأخرة عنهم ووطأوا موطئا لم تطأه إقدام غيرهم، في كمال البيان، وجزالة النظم، ووفاء اللفظ، ورعاية المقام وسهولة المنطق، وقد تحدى عليهم القران بكل تحد ممكن مايثير الحمية ويوقد نار الأنفة والعصبية) انتهى، وهذه السمة وهذا الطابع تجده واضحا أيضا على على النصوص الواردة من السنة المقدسة على لسان الخاتم الأعظم ﷺ والتي وصف القران صاحبها ﷺ بقوله تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)، ومع هذه الميزات في الخطاب الإسلامي تجده أيضا يتحرك بأكثر من أسلوب متعدد وأكثر من شكل فيحاكي المسألة الاجتماعية والثقافية والسياسية ... إلى غير ذلك بل كل مواضيع الحياة مهما بلغت تداعياتها ومعطياتها، من هنا فان أي خطاب جاء بعد هذين المصدرين لأجل أن يدلل على إسلاميته فلابد أن تتوفر فيه صبغة

---

[١] محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات . بيروت لبنان، ج١، ص٦٨.

الانتماء الحقيقي لهما، ولا تكاد أن تجد خطابا إسلاميا يحمل هذه المعايير ويتميز بمثل هذه الميزات إلا ماجاءت به مدرسة أهل البيت عليهم السلام بما حملت من ارث فكري وعلمي وحضاري، وقد لاحت في آفاق تاريخنا الإسلامي من الشواهد والمشاهد التي دللت على هذا ،فهذا الإمام الصادق عليه السلام وهو يروي للناس ارثه العظيم يقول : إن حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي...[٢]، ودونك ماورد عن رسول وهو يوضح لهذه الامة أي خطاب يعتمدون بعده قوله ص: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٣]، واليك ماورد عن الرضا عليه السلام وماورد عنه بحديث السلسلة الذهبية والذي ذكر به الإمام عليه السلام حديث واحد مبينا سنده الشريف عن أبائه الكرام واحدا بعد واحد حتى انتهى إلى جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عن الله[٤]، ولقد كان موضوع الدراسة في هذا البحث أنموذج من هذه المدرسة العظيمة التي حفظت لهذا الدين تراثه الأصيل واعني بذلك الأنموذج أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الذي فاضت الأخبار التي تحكي عن مدى ملازمته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ... لنقف على مرحلتين من الأحداث في عمره الشريف

والتأمل بعين البصيرة بطبيعة الخطاب الإسلامي عنده وما يحمل هذا الخطاب في متونه من الملامح الدينية والمضامين الأخلاقية والتربوية والأدبية، وانه في قوله وفعله كان شعارا ملؤه المباني والمغاني والمعاني و حتى نستجلي من هاتين المرحلتين رؤى الحياة الحقيقة من ذلك الخطاب، الأولى، هي التي حدثنا التاريخ بها كيف ذهب حقه الذي افترضه الله عزو جل له في الخلافة، وهنا كيف إن الإمام عليه السلام تبنى الحوار البناء بأسلوب حضاري منتهجا ظاهرة الاحتجاج القائم على الدليل

---

[٢] علي بن عيسى الاربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام (تحقيق علي الفاضلي)، مط ليلى، سنة الطبع١٤٢٦هـ، ج٣،ص١٨٠.

[٣] احمد بن عبد الله ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء، الناشر دار الكتاب العربي . بيروت، ط الرابعة . ١٤٠٥هـ، ج٤، ص٣٠٦.

[٤] الشيخ الصدوق،عيون اخبار الرضا، الناشر المكتبة الحيدرية . قم،ط الاولى . ١٤٢٦هـ، مط شريعت، ج٢، ص١٤٤، (باب ماحدث به الرضا عليه السلام).

لإثبات حقه، ولغة الدليل هي لغة أهل العلم والدين قال الله تعالى في كتابه المجيد:(قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) البقرة: الآية ،١١١ وكيف انه عليه السلام آنذاك من خلال مواقفه وكل ما صدر عنه ما كان انتصارا لنفسه أو لجلب المنافع لها بل هو ذاك النبيل الذي جعل مصلحة الإسلام ومبادئه الشريفة هي هدفه الأول مهما استدعت الظروف هذا هو مظهر اعتراضه، وأما المرحلة الثانية من الدراسة فقد كانت قراءة في سيرة علي عليه السلام أيام حكمه وخلافته، تلك السيرة التي لو وقف عليها المتتبع لأحداث التاريخ لوجد فيها أخلاقية الحاكم الفذ الذي كان حرا متساميا بكل ما تحمل هذه الكلمات من عافية المعنى ثم أنموذجا يقتدي به الآخرون، وقد وضحنا ذلك من خلال التعرض لبعض المحطات المشرقة في أيام حكمه، فخرجت الدراسة بالعنوان أعلاه، مع المقدمة وتمهيد ثم مبحثين الأول بعنوان: المعارضة بديل حضاري ومشروع أخلاقي، ثم المبحث الثاني بعنوان: أخلاقية الحاكم عند علي أنموذج للاقتداء ومنهج متكامل، ثم الخاتمة لهذه الدراسة، ولأجل ترسيخ فكرة هذا البحث بصورة جلية كان من الضروري الاستعانة بالآيات والروايات وحشد الأخبار من الأصول التاريخية المعتبرة والمعتمدة لبيان الموضوع، ومن الله العون والتسديد.

التمهيد

حتى يقف القارئ على معالم الخطاب الذي تبناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلابد هنا أن يقرا الواحد منا وبوضوح البعد الشخصي لهذا الإنسان في مأثوراتنا الإسلامية ولو بما يختص من محاور هذه الدراسة من مصادر معيننا الإسلامي بدءا من القران ومرورا بالأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى ننتهي عند الصحابة والعلماء الأعلام، وحتى يتسنى لنا ذلك كان لابد أن نتعرض للشواهد من الآيات والروايات التي تكشف عن الأصول والجذور الأساسية التي قام عليها خطاب علي عليه السلام للناس وطبيعة مرتكزاته، وتبين لنا عن مدى ارتباطه الوثيق بالكتاب الشريف والسنة المقدسة، حتى أضحى خطابه يمتلك الشرعية التي تجعل منه ممثلا كاملا عن القران وتراث النبي الأعظم، والآن نضع بين يدي القارئ بعضا من تلك الروايات، فقد ذكر الحاكم في المستدرك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: علي مع القرآن و القرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض[٥]، وقد علق عليه الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح، وهكذا علق الذهبي أيضا، ومثل هذه الرواية تكشف لنا عن بعض ارتباطات علي عليه السلام بالقران بشهادة النبي الخاتم، أما الطبري المفسر في تفسيره جامع البيان في الآية ٣٣ من سورة الاحزاب (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فقد ذكر:عن أم سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندي، وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: "اللَّهُمَّ هَؤلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، أذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ[٦] انتهى، وقد ذكر الطبري ما يقرب من هذا روايات فراجع.

وهذه رابطة أخرى يقرأها القران لعلي عليه السلام مع رسول الله مدعومة بشهادة التطهير، ومن الأخبار التي حكت عن طبيعة الارتباط، وقريب من هذا المعنى ما

---

[٥] محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي (تح : مصطفى عبد القادر عطا)، الناشر دار الكتب العلمية . بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ . ١٩٩٠م ، ج٣، ص١٣٤.

[٦] محمد بن جرير ابو جعفر الطبري، جامع البيان في تفسير القران (تح: احمد محمود شاكر)، الناشر مؤسسة الرسالة، ط الأولى . ١٤٢٠هـ . ٢٠٠م، ج٢٠، ص٢٦٣.

رواه الطبراني في المعجم قوله: قيل لقثم بن العباس كيف ورث رسول اللهﷺ علي دون العباس؟ قال: لأنه كان أولنا به لحوقا وأشدنا به لزوقا[٧].

ولعل ما ورد عنه عليه السلام وهو يتحدث عن ملازمته ﷺ فيقول: وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ ؟ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ؟ بِالْقَرَابَةِ اَلْقَرِيبَةِ وَ اَلْمَنْزِلَةِ اَلْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَ أَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَ يَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَ يُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَ يُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَ كَانَ يَمْضَغُ اَلشَّيْ ءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَ مَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَ لاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ إلى أن قال وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اِتِّبَاعَ اَلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً وَ يَأْمُرُنِي بِالاِقْتِدَاءِ بِهِ وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ ؟ بِحِرَاءَ ؟ فَأَرَاهُ وَ لاَ يَرَاهُ غَيْرِي وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي اَلْإِسْلاَمِ غَيْرَ ؟ رَسُولِ اَللَّهِ ص ؟ وَ ؟ خَدِيجَةَ ؟ وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ اَلْوَحْيِ وَ اَلرِّسَالَةِ وَ أَشُمُّ رِيحَ اَلنُّبُوَّةِ وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ اَلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ اَلْوَحْيُ عَلَيْهِ ص فَقُلْتُ يَا ؟ رَسُولَ اَللَّهِ ؟ مَا هَذِهِ اَلرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا اَلشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَ لَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَ إِنَّكَ لَعَلَى خير[٨] انتهى، وفي خبر حديث المنزلة الذي خاطب به رسول الله ﷺ عليا بعد إن آخا بين الجميع بقوله:إنما تركتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، لايدعيها بعدك إلا كذاب، والذي بعثني بالحق، ماأخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا انه لانبي بعدي، وأنت أخي ووارثي[٩]، وفي خبر آخر ذكره ابن ماجة في السنن عن النبي ﷺ قوله: (علي مني وأنا منه. ولا يؤدي عني إلا علي).

---

[٧] سليمان بن احمد بن ايوب ابو القاسم الطبراني، المعجم الكبير(تح: حمدي عبد المجيد السلفي)، الناشر مكتبة العلوم والحكم . الموصل، ط الاولى ١٤٠٤هـ . ١٩٨٣م، ج١٩، ص٤٠.

[٨] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم)، مط الأميرة، ط الأولى ١٤٢٨هـ، ج١٣، ص١٢٩. ١٣٠.

[٩] قام بتخريج هذا الحديث من عشرات الأصول المعتبرة والمجاميع الحديثية العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم، الناشر دار السيرة، ج٤، ص٢٣١ ٢٣٢. فراجع.

قال الشيخ الألباني: حسن[١٠] انتهى، هذه بعض الكتب والأصول المعتبرة ومجاميع في التفسير والحديث الشريف انتخبنا منها بعض الأخبار والروايات التي تعد مما يشترك بنقلها والقول بصحتها أعلام المسلمين من أهل القبلة وهم في الوقت نفسه لايقدحون بسندها وصحة متنها مع تعليقات المحققين، هذه الأخبار التي تجعل القارئ يقف وبوضوح على بعض الأبعاد الدينية التي أثبتتها آيات القران واحاديث السنة المقدسة للخاتم الاعظم صلى الله عليه واله في علي عليه السلام سواء بالقول أو العمل، والتي انما ذكرناها هنا لأجل أن تكون تمهيدا يرسم لنا بعض معالم ذلك الخطاب

---

[١٠] محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني ابن ماجة، سنن ابن ماجة (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، الناشر دار الفكر بيروت، ج١، ص٤٤، مع الكتاب تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي، والاحاديث مذيلة بأحكام الالباني.

المبحث الأول

المعارضة بديل حضاري ومشروع أخلاقي

لأجل أن ندخل في مجالات هذا البحث لابد من مقدمة نقف بها على آليات هذه الدراسة في هذا المبحث، وأول هذه المقدمة هو الإشارة إلى مفهوم المعارضة ولبيان هذا بشكل يسير،ـ المعارضة مصطلح ومفهومه أن تكون هناك جهة أو عصبة تبدي رأيا أمام رأي الأخر، ومفهومه في المجالات السياسية أن تقف جماعة بوجه الحاكم تحسب عليه تصرفاته وخطواته وهو يدير دفة الحكم فتعارضه إن هو أفسد أو أخل، وهي حالة صحية في حياة الشعوب تحمل بين جوانحها ثقافة حرية الرأي والرأي الآخر وعدم استبداد جهة بالقرار دون أخرى، وعدم مصادرة آراء الآخرين، وهي بالتالي بديل حضاري تأمل الشعوب والمجتمعات به البلسم لجراحاتها متى ما واجهت أزمة مع الحكام، ولأجل أن تكسب المعارضة هذه الصفات الحسنة والثقة عند الشعوب لابد من تتوفر فيها مجموعة من الأخلاقيات تسمى بأخلاقية المعارضة، بعد هذه المدمة نعود إلى أصل ما نحن فيه لنقف على الأحداث التي تعرض لها أمير المؤمنين عليه السلام، التي يحدثنا بها التاريخ كمرحلة مهمة في حياته واعني حادثة إقصائه عن حقه في الخلافة بعد رسول الله ،هذه الخلافة التي هي حق افترضه الله عزو جل له، عندما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم مأمورا من السماء في الطريق الذي هو مفترق قوافل الحجيج رافعا عقير صوته من كنت مولاه فهذا علي مولاه ...[11]، نعم كيف انه عليه السلام قد تعامل مع هذا الحدث تعاملا واعيا متجردا من كل ميول نفسي، متساميا في كل أفعاله وأقواله، وسيظهر هذا كله من خلال نصوص خطابه الشريف، وذلك بطرح الاحتجاجات معتمدا لغة الدليل والمنطق فلغة الدليل هي لغة أهل العلم دوما، فالله عز اسمه يقول في محكم كتابه(قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) البقرة: الآية ١١١، وقوله تعالى (اِنْ عِندَكُم

---

[11] راجع موسوعة الغدير للعلامة الشيخ عبد الحسين الاميني فقد خرج المؤلف الحديث اعلاه من المصادر المعتبرة عند المسلمين راجع ج١.

مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا) يونس الآية ٦٨، وقوله تعالى: (يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا) آل عمران الآية ٣٧.

ففي احدى خطاباته في هذا المجال مبينا للقوم آنذاك وللتاريخ عبر الزمان المكانة العلمية واللياقة التي تؤهله ان يكون المستخلف بعد النبي ص لاغيره يقول عليه السلام بالشقشقية كاشف عن اسلوبه الحضاري على القوم عندما اغتصبوا الخلافة: أما وَاللّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ اءَنَّ مَحَلّى مِنْها مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرِّحى، يَنْحَدِرُ عَنِّى السَّيلُ وَلا يَرْقى اِلَىَّ الطَّيْرُ. فَسَدَلْتُ دُونَها ثَوْبَا وَطَوَيْتُ عَنْها كَشْحا، وَطَفِقْتُ اءرْتَئى بَيْنَ أن أصُولَ بِيدٍ جَذّاءَ أوْاء صْبِرَ عَلَى طَخْيَهٍ عَمْياءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ. وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيها مُومِنٌ حَتّى يَلْقى رَبِّهُ، فَرَاءَيْتُ اءَنَّ الصَّبْرَ عَلى هاتا اءَحْجى فَصَبَرْتُ وَفِى الْعَيْنِ قَذىً، وَفِى الْحَلْقِ شَجا، اءَرى تُراثِي نَهْبا[١٢] انتهى، وفي هذا النص يصرح الإمام عليه السلام علنا انه الأفضل والأكفأ من غيره كائنا من كان، ومثل هذه الحقائق لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام وحده، بل هذا المفهوم هو ما صرح به أعاظم الصحابة وقد اخذوا هذا كله من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل ص مشيدا بفضل علي عليه السلام: علي أقضاكم [١٣]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه: أقضاهم علي بن أبي طالب [١٤]، وهذا عمر بن الخطاب يصرح بقوله: أقضانا علي[١٥]، وقريب من هذا ما ورد عن ابن عباس قوله: لقد أعطي عليّ تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم

---

[١٢] العلامة سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، الناشر الشريف الرضي، مط امير، سنة الطبع١٤١٨هـ، ص١١٧.

[١٣] ورد هذا الحديث متصدرا في رسالة الماجستير الصادرة عن جامعة نايف العربية للعلوم الامنية قسم العدالة الجنائية تحت عنوان فقه امير المؤمنين علي بن ابي طالب في الحدود والجنايات واثره في التشريع الاسلامي الجنائي للطالب عبد الله بن سليمان بن علي العبد المنعم باشراف د. محمد المدني بوساق وقد احالنا الطالب للمصدر وهو فتح الباري لابن حجر وقد ذكر قول ابن حجر في الحديث قوله: انه مرفوع وقد رفعه انس وهذا يدل على انه صحيح . انتهى وقد وردت الرواية في مصادر منها كتاب سمط النجوم العوالي ، مختصر تاريخ دمشق، والوافي بالوفيات.

[١٤] ابي عمر يوسف بن عبد الله المعروف ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ،مط المعارف النظامية حيدر اباد . الهند . ١٣٣٦هـ، ج٢،ص٤٦١.

[١٥] المصدر نفسه والصفحة.

في العشر العاشر[١٦]، وهذه الاخبار صارت واضحة للناس آنذاك بل حتى أضحت ثقافة تربت عليا أجيال العلماء من بعدهم مع تعاقب الأيام واختلاف الأزمان على لسان التابعين ومن جاء من بعدهم فقد أورد صاحب أسد الغابة من هذا مانصه: وقال سعيد بن المسيب: ما كان احد من الناس يقول: "سلوني"، غير علي بن أبي طالب.

وروى يحيى بن معين، عن عبدة بن سليمان، عن عبد الملك بن أبي سلمان قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا، والله لا أعلمه[١٧]، وهذا الحافظ المزي وقد أورد في تهذيب الكمال في علي عليه السلام: كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن[١٨]، هذه الاخبار تدلل وبكل وضوح على إن عليا عليه السلام كان البديل الذي أعده رسول الله ﷺ إعدادا رسالياخاصا ليكون صورة مشرقة للمرجعية الفكرية والسياسية بعد النبي ﷺ ولاسيما إن رسول الله ﷺ قد ودع الحياة ومازالت عملية التغيير التي أرادها لذلك المجتمع فتية بحاجة لقيادة تحمل من الشهادات العلمية والرتب الفكرية ماثبت لعلي عليه السلام دون غيره، وقد ورد من الأخبار مايؤكد عدم قدرة غيره من أن يحمل أعباء هذا الأمر، فقد ثبت من الإخفاقات العلمية للصحابة على مختلف علوم الشريعة ولكن لم يسجل على الإمام عليه السلام مثل هذا، فهذا ابن القيم الجوزية ذكر مانصه: والصحابة كلهم فليس أحد منهم إلا وقد خفي عليه بعض ما قضى الله ورسوله به فهذا الصديق أعلم الأمة به خفي عليه ميراث الجدة حتى اعلمه به محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة وخفي عليه أن الشهيد لا دية له حتى أعلمه به عمر فرجع إلى قوله ... وَخَفِيَ عَلَى عُمَرَ تَيَمُّمُ الْجُنُبِ فَقَالَ : لَوْ بَقِيَ شَهْرًا لَمْ يُصَلِّ حَتَّى يَغْتَسِلَ[١٩]، وقد ورد فيما ورد عن عمر

---

[١٦] ابن الاثير : اسد الغابة (باب علمه رضي الله عنه) هكذا في المصدر.

[١٧] المصدر نفسه والباب.

[١٨] يوسف ابن الزكي ابو الحجاج المزي، تهذيب الكمال (تح: د. بشار عواد معروف)، الناشر مؤسسة الرسالة . بيروت، ط الاولى ١٤٠٠هـ، ج٢٠، ص٤٨٥.

[١٩] محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعين عن رب العالمين(تح: طه عبد الرؤوف) الناشر دار الجيل . بيروت . ١٩٧٣، ج٢، ص٢٧٠.

قوله : اللهم غفرا كل الناس افقه من عمر[٢٠] واما علي عليه السلام فقد ورد انه قيل إنه سئل الخليل عن الدليل على إمامة علي عليه السلام، على نحو الكل في الكل، قال: احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل[٢١].

وفي النص أعلاه ما يشير إلى إن الإمام عليه السلام قد نظر إلى تراثه وحقه المنصوص له من الله وقد تناولته الأيادي نهبا وتناثرته عواصف الزمن، لكنه رغم ذلك مع امتلاك وسائل الرد المتنوعة إلا إن تحركه نابعا من مرضات ربه وخوفا على الإسلام لاشيئا آخر، بل انه قد وضح بكلمة بليغة كل جدال أو سجال أو قتال في حياته مبينا الأسباب في ذلك يقول عليه السلام: اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ اَلَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلاَ اِلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ اَلْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ اَلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ اَلْإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ فَيَأْمَنَ اَلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ اَلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ[٢٢] انتهى، نعم كان أمير المؤمنين عليه السلام يؤمن كل الإيمان بما يجب على الإنسان أن يتبعه من السلوكيات الأخلاقية للمطالبة في حقوقه المغتصبة بما يؤكد حضاريته، وأن يتنزه عن كل أنانية أو أن يدفعه التنازع على السلطة أو الكرسي إلى سلوك سبيل غير مشروع مثلما يصور البعض بان ذلك يقومه كلمة الغاية تبرر الوسيلة، ودونك من الأخبار التي وردت والتي تدلل على عظمة علي عليه السلام وكيف انه لم يكن إلا الرافض وبكل قوة على اتباع هذه الأساليب الرخيصة، فقد أورد الزبير بن بكار مانصه: لما بايع بشير بن سعد أبا بكر و ازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب عليه السلام فوقف و أنشد

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم و لا سيما تيم بن مرة أو عدي

---

[٢٠] السيد محمود الالوسي، تفسير روح المعاني، مط الميرية . بولاق، ط الاولى ١٣٠١هـ، ج٢، ص٥٤.

[٢١] السيد ابو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ط الخامسة . ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م، ج٨، ص٨١ (باب الخليل النحوي).

[٢٢] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة(تح : محمد إبراهيم) الناشر دار الكتاب العربية، بغداد، مط الأمير ١٤٢٨هـ، ط الثانية، ج٨، ص٣٦٤.

فمـــا الأمـــر إلا فـــيكم و إلـــيكم و لـــيس لهـــا إلا أبـــو حســـن علـــي
أبـا حسـن فاشـدد بهـا كـف حـازم فإنـك بـالأمر الـذي يرتجـى ملـي
و أي امـرئ يرمـي قصـيا و رأيهـا منبع الحمى و الناس من غالب قصي

فقال علـي لأبـي سفيان إنـك تريـد أمـرا لسـنا مـن أصـحابه و قـد عهـد إلـي رسـول اللهﷺ عهدا فأنا عليه فتركه أبو سفيان و عدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله فقال يا أبا الفضل أنت أحق بميراث ابن أخيك امدد يدك لأبايعك فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك فضحك العباس و قال يا أبا سفيان يدفعها علي و يطلبها العباس فرجع أبو سفيان خائبا[٢٣]، وفي الاخبار ما يدلل على نبله عليه السلام وعظيم خطابه وذلك من الاخبار التي صرحت برجوع الصحابة إليه ببيان ما خفي عنهم من المسائل وهو كثير سواء الخلفاء من قبله وجميع الصحابة، فكان الملجأ والكهف الذي يقصدونه بكل ما يجابههم من مشاكل فكان هو الحل عنده دون غيره ولكن لم يكن موقف السقيفة بالسبب الذي يمنعه من أن يبدي لهم النصيحة والجواب لما يحتاجونه فكان المغيث لهم من كل مشكلة، فقد ذكر ابن أبي الحديد في ذلك قوله: و حدثني الحسين بن محمد السيني قال قرأت على ظهر كتاب أن عمر نزلت به نازلة فقام لها و قعد و ترنح لها و تقطر و قال لمن عنده معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الأمر فقالوا يا أمير المؤمنين أنت المفزع و المنزع فغضب و قال يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ثم قال أما و الله إني و إياكم لنعلم ابن بجدتها و الخبير بها قالوا كأنك أردت ابن أبي طالب قال و أنى يعدل بي عنه و هل طفحت حرة مثله قالوا فلو دعوت به يا أمير المؤمنين قال هيهات إن هناك شمخا من هاشم و أثرة من علم و لحمة من رسول الله ﷺ يؤتى و لا يأتي فامضوا بنا إليه فانقصفوا نحوه و أفضوا إليه فألفوه في حائط له عليه تبان و هو يتركل على مسحاته و يقرأ أَ يَحْسَبُ اَلْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً إلى آخر السورة و دموعه تهمي على خديه فأجهش الناس لبكائه فبكوا ثم سكت و سكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة

---

[٢٣] الزبيرر بن بكار، الاخبار الموفقيات (تح :د.سامي مكي العاني)، الناشر انتشارات الشريف المرتضى، ط الاولى ١٤١٦هـ، ص٥٧٧ .٥٧٨.

فأصدر جوابها فقال عمر أما و الله لقد أرادك الحق و لكن أبى قومك ...[٢٤]، وقد كتب من كتب في علي عليه السلام وسيرته وقد تعرضوا لذكر هذه الأخبار التي أجمعت كيف إن ديوان الخلافة في كل وقت إذا نزلت به نازلة فانه يطرق باب الإمام عليه السلام فينهض الإمام عليه السلام لنصرة دين الله وحسب

---

[٢٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة(تح : محمد إبراهيم) الناشر دار الكتاب العربية، بغداد، مط الأمير ١٤٢٨هـ، ط الثانية، ج١٢، ص٢٤٠

المبحث الثاني

أخلاقية الحاكم عند علي أنموذج للاقتداء ومنهج متكامل

ما أحوجنا اليوم وفي كل يوم ونحن نعيش خلف الحدود والأسوار التي عطلت مواهب الإنسان التي آتاه الله إياها ليكتشف منابع الخير، وما أحوجنا اليوم ونحن نقبع تحت الغيوم التي عطلت على الإنسان رؤية الرحاب الرحبة والمسافات البعيدة والقمم الشاهقة، ما أحوجنا إلى أن ننهض بقراءة تاريخ العظماء والوقوف على سيرتهم والتحرك بين جنبات حياتهم والتمعن في آثارهم، ومثل هذه القراءة تجعل من إنسان اليوم مع مايعاني من المشاكل والمحن والضيق النفسي، أن تطفح به حرارة الشوق والتوق لتلك السير كإشتياق الصحارى البيد للغمام تمطرها هطول الحياة فتتركها نضرة خضرة، وبينما هذا الإنسان يخوض في قراءة تاريخ هؤلاء العظماء ينتقل من طور إلى طور، ليقف على قمة في تاريخ الإنسانية من أفذاذ هذا العالم واعني من هذا شموخ علي بن أبي طالب عليه السلام، ليقرا رؤى الحياة في كلماته، وهذه المرة نقرأ خطاب علي عليه السلام الحاكم بأخلاقياته وما يحمل من اشراقات مستلهمين من اشراقاته ما ينفعنا بحياتنا وحاضرنا ومستقبل مشرق لأجيالنا، وهاهو في إحدى كلماته والغرر من عباراته يرسم لنا تلك الأخلاقيات النابع من العلاقة السليمة بين الحاكم والمحكوم فيقول: ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْض، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْض. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضةً فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلّ عَلَى كُلّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِاُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَاالسُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأعداء.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الاِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى،

وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأبرار، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَادِ[٢٥].

من هذه الكلمة الغراء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يصف الوضع العام لطبيعة المجتمعات والدول بالنسبة إلى الاستقرار أو عدمه، أمانه وخوفه، ضعفه وقوته، انهياره تماسكه...، وقد عزا بالسبب من هذه الأشياء أمر واحد ألا وهو علاقة الشعب بالحاكم وعلاقة الحاكم بالشعب، وقد جعل الإمام عليه السلام طرفي المعادلة لتحقيق ماذكرناه بالنسبة لحال الشعوب وحكوماتها قائم على هذين العنوانين عنوان الحاكم والمحكوم، فمتى ما استاثر الحاكم بامتيازات دون التزامات وكان هذا على حساب المحكوم المحروم كانت الصورة استبداد، والصورة الأخرى، متى ما كانت العلاقة بينهما غير خاضعة إلى قانون، كلاهما يعمل بما يريد، كانت الصورة فوضى، وأما الصورة الثالثة فهي ترسم لنا علاقة متزنة قائمة على تبادل الاحترام وتبادل الرأي بصورة تحفظ كرامة الطرفين وهذه صورة المجتمع الفاضل وهي صورة وأبهى صورة، وبما أنه في خطاب علي عليه السلام كان الوالي طرف مهم مباشر في رسم صورة الحياة سواء بالسلب أو الإيجاب فسنختار بعض الصور التي كانت قد ثبتت لعلي عليه السلام، التي صورت لنا آفاق شخصيته المعطاء حاكما إسلاميا تضمنت سيرته وصفاته كل رؤى الحياة، وقد أجمعت الشواهد والمشاهد التاريخية على ذلك، فدونك الأصول المعتبرة من كتب السير، فهذا بيت المال وقد سمي المال مالا كونه يميل بصاحبه هكذا عرف المال، لننظر كيف هي سياسة علي فيه، وكيف هي سياسته الشديدة مع عماله وولاته، لايتركهم يصولون ويجولون كيف يشاءون، فقد أورد ابن عبد البر وهو يترجم لعلي عليه السلام عن أبي اسحق السبيعي قوله: إذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلا قسمه ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول: يا دنيا غري غيري. ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء ولا يخص به حميماً ولا قريباً ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل

---

[٢٥] الشريف الرضي، نهج البلاغة (تح:السيد جعفر الحسني،ط الاولى . ١٤١٩هـ ،الناشر دار الثقلين:الخطبة ٢١٦ ،ص٣٤٥ .٣٤٦.

والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين. وما أنا عليكم بحفيظٍ "إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول: اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك[٢٦]، ونعود مرة أخرى للوقوف على سياسة علي في بيت المال فقد ذكر ابن عبد البر مانصه: عن مجمع التيمي أن علياً قسم ما في بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكنس ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة[٢٧]، ولقد توافرت الأخبار وهي تحكي عن علي عليه السلام ذلك الحاكم المثالي الذي التزم بتطبيق أحكام الإسلام وتجسيد مبادئه العادلة، وإقامة العدالة الاجتماعية فلم يؤثر قريبا ولم يجامل صديقا ولو وقفت على الخطب والرسائل والوصايا والتعليمات التي كان يبعث بها لعماله ويوجه بها الناس، فانك تجده وفر للأمة تراثا ضخما فكريا يرسم من خلاله للأجيال طبيعة أخلاقية الحاكم الصالح، رغم انه قد أتيحت له فرصة قصيرة لقيادة الأمة، وإذا كانت العدالة هي حياة الأحكام بل هي أول ما يجب ان تتوفر بالحاكم، فانظر في هذا كيف هي سياسة علي عليه السلام، حارب الطبقية بكل أنواعها هذا أولا فيقول في ذلك: إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، وإن جاعوا وعروا وجهدوا فبمنع الأغنياء، وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه – عنه (عليه السلام): لا وزر أعظم من وزر غني منع المحتاج[٢٨]، وقريب من هذ ما جاء في عهده إلى مالك الاشتر حيث يوصيه قائلا: الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساك والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى[٢٩]، وفي خبر أخر يجمع لنا موضوع محاربته الطبقية ومحاسبة عماله على كل حال ما كتبه إلى واليه عثمان بن حنيف وقد دعاه احد تجار البصرة

---

[٢٦] ابي عمر يوسف بن عبد الله (ابن عبد البر)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مط دائرة المعارف النظامية . الهند،ط الثانية .١٣٣٦هـ،ج٢،ص١١٦.

[٢٧] المصدر نفسه والصفحة.

[٢٨] محمد الريشهري، ميزان الحكمة، (باب الغنى).

[٢٩] الشريف الرضي، نهج البلاغة (تح: السيد جعفر الحسني، ط الاولى . ١٤١٩هـ، الناشر دار الثقلين، كتاب ٥٣، ص٤٦٤.

إلى مأدبة فوصل الخبر إلى الإمام عليه السلام فكاتبه قائلا: وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو[٣٠]، ثم إن من سياسته وهو يعالج أمر العدالة الاجتماعية هو سحب الامتيازات والأموال والضياع التي كان قد منحها عثمان لأقربائه من الأمويين فيقول مشددا في ذلك: والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء، لرددته، فان في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق[٣١]، بالوقت الذي جاءه أخوه عقيل بن أبي طالب يطلب بها صاعا من الحنطة[٣٢]، من أخيه الحاكم والذي يحكم دولة تمتد شرقا وغربا فيقول عليه السلام في ذلك: وَ اَللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ اَلسَّعْدَانِ مُسَهَّداً وَ أُجَرَّ فِي اَلْأَغْلاَلِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ اَلْعِبَادِ وَ غَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ اَلْحُطَامِ وَ كَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى اَلْبِلَى قُفُولُهَا وَ يَطُولُ فِي اَلثَّرَى حُلُولُهَا وَ اَللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ ؟ عَقِيلاً وَ قَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اِسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَ رَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ اَلْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وَ عَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَ كَرَّرَ عَلَيَّ اَلْقَوْلَ مُرَدِّداً فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَ أَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَ كَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ اَلثَّوَاكِلُ يَا ؟ عَقِيلُ أَ تَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَ تَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَ تَئِنُّ مِنَ اَلْأَذَى وَ لاَ أَئِنُّ مِنْ لَظَى[٣٣] انتهى، ومن ملامح العدالة الاجتماعية في خطاب علي عليه السلام يظهر بوضوح ان لا حصانة قانونية في حكومة علي ،فلا مفر من تطبيق القانون على الجميع مهما بلغت رتبته الاجتماعية في وقته

---

[٣٠] المصدر نفسه:ص٤٣٩.

[٣١] المصدر نفسه: الخطبة ١٥.

[٣٢] مقياس للوزن قدره ثلاثة كيلوات.

[٣٣] الشريف الرضي، نهج البلاغة (تح:السيد جعفر الحسني، ط الاولى . ١٤١٩هـ، الناشر دار الثقلين، خطبة٢٢٤، ص٣٦١.

ففي كتاب له يوجهه إلى أهل الأحياء الذين يمر عليهم جيشه للغزو جاء فيه :
مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلاَدِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لله عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الأذى، وَصَرْفِ الشَّذَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، إِلاَّ مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ، لاَ يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ. فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ [شَيْئاً] ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ، وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيما اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ، فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ، وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلاَ تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلاَّ بِاللهِ وَبِي، أُغَيِّرْهُ بِمَعُونَةِ اللهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ[٣٤]. فهذه من ملامح خطاب الإمام عليه السلام بالنسبة للحاكم الذي يريد ليحفظ للقانون هيبته، ومن مايصطدم به الحكام موضوع المعارضة والمعارضة مصطلح ومفهومه أن تكون هناك جهة أو عصبة تبدي رأيا أمام رأي الأخر، ومفهومه في المجالات السياسية أن تقف جماعة بوجه الحاكم تحسب عليه تصرفاته وخطواته وهو يدير دفة الحكم فتعارضه إن هو أفسد أو أخل، وهي حالة صحية في حياة الشعوب تحمل بين جوانحها ثقافة حرية الرأي والرأي الآخر وعدم استبداد جهة بالقرار دون أخرى، وعدم مصادرة آراء الآخرين، وقد بدت هذه الظاهرة واضحة أيام حكم الإمام فحرب الجمل وواقعة صفين ومعركة النهروان كلها دلائل على اعتراض جماعة عليه، والعجب كل العجب إن الذين اعترضوا أيام حكم أمير المؤمنين ماكانوا بغفلة مما صدر من النصوص بحقه سواء من القران أوالسنة التي شهدت بارتباطه الكامل بهما وقد أوضحنا بعضا من تلك النصوص بالتمهيد فراجع ،والآن كيف تعامل أمير المؤمنين عليه السلام مع هذا الصنف، وقبل ان نخوض في هذا الموضوع ننقل هنا ماأورده المفسر الالوسي من أخبار توجب على السامع أن يتروى بشأن من عارض عليا عليه السلام فقد ذكر الالوسي مجموعة من الاخبار نضعها أمام القارئ يقول الالوسي: وذكروا من علامات النفاق بغض علي كرم الله تعالى وجهه.

---

[٣٤] حسن موسى الصفار، رؤى الحياة في نهج البلاغة، الناشر مؤسسة الاعلمي . بيروت، ط الاولى .١٩٧٧م، ص٣٢.

فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا ببغضهم علي بن أبي طالب. وأخرج هو وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري ما يؤيده، وعندي أن بغضه رضي الله تعالى عنه من أقوى علامات النفاق[٣٥]، ولقد ابتلى الإمام عليه السلام بهؤلاء سواء كانوا من الناكثين أو القاسطين أو المارقين ، ولكن نضع بين يدي القارئ كيف هو تصرف علي مع من عارضه تصرف الحاكم الذي كان يؤمن بضرورة تامين حرية الرأي، منطقه منطق القران :(فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ) سورة الكهف : الآية ٢٩ ، فقد روي إن عليا عليه السلام كان يخطب فقام احد الخوارج وقطع كلامه وقال : الحكم لله لا لك ياعلي، فسكت الإمام عليه السلام حتى أتم الرجل كلامه ثم بدأ يتكلم فقطع كلامه مرة أخرى وقال الحكم لله لا لك ياعلي فسكت علي عليه السلام حتى أتم كلامه، وفي الثالثة قال الإمام: كلمة حق يراد بها باطل فلما كثروا قال لهم الإمام عليه السلام: إن لكم علينا ان لا نبداكم بقتال، وان لا نقطع عنكم الفيء وان لانمنعكم مساجد الله[٣٦]، فقد أجرى لهم الإمام رواتبهم وحقوقهم، ولم يمنعهم حق الرأي، ولم يمنعهم من الحضور والتواصل في المساجد التي هي دوائر القرار آنذاك، وهذا والخوارج يعدون من اشد المعارضين لحكمه عليه السلام، والعجيب إن هؤلاء النفر من المعارضين على اختلاف مادار بينهم وبين الإمام من حوار وتعدد الاخبار في ذلك كثير تجد إنهم لايلتزمون بأدب الحوار بل يسمعونه كلاما قاسيا إلا انه لايرد عليهم إلا بما يمليه عليه خلقه الكريم النابع من القران والسنة، فحديثه مع ابن الكوا وغيره شاهد على ذلك فراجع[٣٧]، وأما صراعه مع معاوية بن ابي سفيان ففيها من فقد بينت أحداثها الكثير من ملامح الخطاب عند علي عليه السلام ففي خبر يرسم لنا

---

[٣٥] السيد محمود الالوسي، تفسير روح المعاني، مط الميرية . بولاق ، ط الاولى ١٣٠١هـ، ج٨، ص١٣٠.

[٣٦] السيد هادي المدرسي، اخلاقيات امير المؤمنين عليه السلام، الناشر مؤسسة الاعلمي . بيروت، ط الاولى . ١٩٩١م، ص٢٩٨.

[٣٧] المصدر نفسه (باب الاعتراف بحق المعارضة).

موقف الناس من علي وموقفه منهم ذكره العلامة المجلسي : عن فضيل بن الجعد، قال:

آكد الأسباب كان في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنه لم يكن يفضل شريفا على مشروف، ولا عربيا على عجمي، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحدا إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس عليا عليه السلام والتحقوا بمعاوية[٣٨]، فهذه سياسة علي عليه السلام التي دفعت بالكثير أن يتركوا معسكره وينضموا إلى معسكر القاسطين من أمثال معاوية وغيره، لقد كان لأمير المؤمنين عليه السلام موقفا مع هذا المعسكر معسكر معاوية موقفا في صفين يكشف عن سموه وعلو خلقه خلاف ماكان عليه المعسكر المقابل من انحراف وانحدار، فقد ذكرت الاخبار عندما اخذ جيش معاوية شرعة الفرات بقيادة أبو الأعور السلمي احد قادة جيش معاوية في صفين قبل واقعة صفين اصدر معاوية أمره بمنع الماء على علي وأصحابه، وبعدما غارت جيوش الإمام عليه السلام على تلك الكتائب وكشفتها عن الماء اصدر الإمام عليه السلام أوامره أن خذوا من الماء ما تشاؤون واتركوا معاوية وأصحابه يردوه ويشربوا[٣٩].

---

[٣٨] محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، الناشر . مؤسسة الوفا . بيروت، ج٤١، ص١٣٣.

[٣٩] نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين(تح: عبد السلام محمد هارون)، الناشر مكتبة المرعشي، ط الثالثة . ١٤١٨هـ ،ص ١٦٢.

الخاتمة

بعد هذه الجولة اليسيرة بين جنبات الخطاب الإسلامي الحر عند أمير المؤمنين عليه السلام والوقوف على مضامينه بكل مراحل حياته، فلاشك ولاريب إن الحديث عنه حديث تستأنس به الضمائر الحرة وتتفاعل معه النفوس المؤمنة، وتحلق في أجوائه العبقريات الإنسانية، خطاب ماأحوج الجيل إليه في كل آن يجد به البلسم لجراحاته كونه نابع من قمم معين الفيض الإلهي والمدد المحمدي، والحديث عن مآثر علي عليه السلام حديث عن العظمة والجلالة والقدس والتقوى، وبكلمة غراء للسيدة الزهراء عليها السلام وهي تختصر لنا دراستنا هذه عن أمير المؤمنين عليه السلام تقول عليها السلام: ويحهم أنى زحزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين[٤٠] بأمور الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين!

وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم حشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا، صافيا، رويا، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين! ألا هلم فاسمع؟! وما عشت أراك الدهر عجبا! وإن تعجب فعجب قولهم!.. ليت شعري إلى أي أسناد استندوا؟!

---

[٤٠] الطبن بالتحريك: الفطنة، الوطأة في الأصل: الدوس في القدم، تنمر له: تنكر وتغير واوعده، السجح اللين السهل . لسان العرب، المنهل بفتح الميم والهاء: المورد وهو عين ماء . المصباح ،النمر النمير :الماء الزاكي ، الكافل :العائل والقائم بامر اليتيم . لسان العرب
الذنابي :ذنب الطائر واذناب الناس:اتباعهم . لسان العرب.

وإلى أي عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسكوا؟! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون[٤١]، بهذه الكلمة الموجزة عبرت السيدة ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مضامين النفس العلوية الطاهر عند أمير المؤمنين عليه السلام وما حوته من أخلاق رفيعة، وفي الوقت نفسه أعطت الأسباب التي وضعت أمير المؤمنين عليه السلام إلى خوض المواجهات وما تمخض من هذا وذاك من خطاب علوي كان شرف للكلام في بلاغته مثلما كانت الروح شرف للأبدان

هذا ما استطعت أن أدونه في هذه الأسطر في دراسة للوقوف على بعض ملامح الخطاب العلوي لأمير المؤمنين عليه السلام، راجيا من الله التوفيق والتسديد، كتبته في رحاب الصحن الكاظمي الشريف للإمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد عليهما السلام وأنا مستجير بذمتهم حيا وميتا راجيا شفاعتهم حيا وميتا والقبول عند الله، فقد ورد في فضائل علي عليه السلام: انه من كتب فضيلة في علي غفر الله له كل ذنب اقترفه بيده، فسلام على أمير المؤمنين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا

---

[٤١] احمد بن علي الطبرسي، الاحتجاج (تج:الشيخ ابراهيم البهادري ـ الشيخ محمد هادي به) الناشر قسم الأوقاف والشؤون الخيرية، مط اسوة ـ قم، ط السادسة ١٤٢٥هـ،ج١، ص٢٨٧.

المصادر

. القران الكريم

. المطبوعات

. ابن ابي الحديد:عز الدين ابو حامد بن هبة الله المدائني(ت ٦٥٦هـ)

شرح نهج البلاغة،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتاب العربي . بغداد، مط الاميرة ،ط الاولى ١٤٢٨هـ

. الاربلي : علي بن عيسى (ت ٦٩٢هـ)

كشف الغمة في معرفة الائمة ، تحقيق علي الفاضلي ، المجمه العلامي لاهل البيت ع . قم

. الاصبهاني : احمد بن عبد الرحيم (ت٤٣٠هـ)

حلية الأولياء . الناشر دار الكتاب العربي . بيروت ، ط الرابعة. ١٤٠٥هـ

. الالوسي: محمود بن عبد الله شهاب الدين (ت ١٧٢٠هـ)

تفسير روح المعاني ، تصحيح ادارة المطبعة المنيرية، مصر درب الاتراك، دار احياء التراث العربي . بيروت

. ابن بكار : الزبير (ت ٢٥٦هـ)

الاخبار الموفقيات (تحقيق سامي مكي العاني) ، الناشر . انتشارات الشريف المرتضى ، ط الاولى . ١٤١٦هـ

. سبط ابن الجوزي : يوسف بن فرغلي ابو المظفر(ت ٦٥٤هـ)

تذكرة الخواص ، الناشر مؤسسة الشريف الرضي . امير. قم .١٤٢٨هـ

. الحاكم النيسابوري : محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)

المستدرك على الصحيحين (تح : مصطفى عبد القادر) ، الناشر دار الكتاب العربي . بيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ

. الخوئي: السيد أبو القاسم

معجم رجال الحديث، ط الخامسة . ١٤١٣هـ

. الشريف الرضي : محمد بن الحسين (ت . ٤٠٦هـ)

نهج البلاغة(تح : السيد جعفر الحسيني) ، الناشر دار الثقلين . قم ، ط الأولى . ١٤١٩هـ

. الريشهري: محمد

ميزان الحكمة، الناشر مكتب الإعلام الإسلامي . قم

. الصدوق: محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ)

عيون اخبار الرضاع ، الناشر الكتبة الحيدرية . قم، ط الاولى . ١٤٢٦هـ

. الصفار: الشيخ حسن موسى

رؤى الحياة في نهج البلاغة، الناشر مؤسسة الاعلمي . بيروت ، ط الاولى . ١٩٧٧

. الطباطبائي: محمد حسين

تفسير الميزان ، الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات . بيروت لبنان ،ط الثالثة . ١٣٩٣هـ

. الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

جامع البيان في تفسير القران (تحقيق : احمد محمود شاكر) ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ط الاولى . ١٤٢٠هـ

. الطبراني : سليمان بن احمد(ت ٣٦٠هـ)

المعجم الكبير(تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي) ، الناشر مكتبة العلوم والحكم الموصل ، ط الثانية ١٤٠٣هـ

. الطبرسي : احمد بن علي (من علماء القرن السادس)

الاحتجاج، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري . الشيخ محمد هادي به، قسم الاوقاف والشؤون الخيرية، مط أسوة . قم ، ط السادسة ١٤٢٥هـ

. العاملي :السيد جعفر مرتضى

الصحيح من السيرة ،الناشر دار اليسيرة . بيروت لبنان

. ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله الأندلسي الشافعي (ت ٤٦٣هـ)

الاستيعاب في معرفة الاصحاب مطبعة المعارف النظامية . حيدر اباد الهند

. ابن قيم الجوزية: محمد بن ابي بكر(ت ٧٥١هـ)

اعلام الموقعين عن رب العالمين (تحقيق : طه رؤوف) ، الناشر دار الجيل . بيروت ١٩٧٣م

. ابن ماجه : محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ)

سنن ابن ماجه (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي) ، الناشر دار الفكر لعربي . بيروت

. المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ)

بحار الأنوار، الناشر مؤسسة الوفاء . بيروت لبنان

. المزي: الحافظ يوسف ابن الزكي ابو الحجاج (ت ٧٤٢هـ)

تهذيب الكمال (تحقيق: د. بشار عواد معروف) ، الناشر مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط الأولى . ١٤٠٠هـ

. المدرسي : السيد هادي

اخلاقيات امير المؤمنين ، الناشر مؤسسة الاعلمي . بيروت ، ط الاولى . ١٩٩٠م

. المنقري : نصر بن مزاحم(ت٢١٢ هـ)

وقعة صفين (تحقيق: عبد السلام محمد هارون) ، الناشر مكتبة المرعشي . ط الثالثة . ١٤١٨هـ